﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ [القصص: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إتمامُ الوعدِ الصّادق لأمِّ موسى عليه السلام

لمّا ذكر اللّه سبحانه وعدَهُ الصّادقَ لأمِّ موسى بردِّه إليها وجعْلِه من المرسلين، وانتهى السّياقُ من حكاية ردِّ موسى إلى أمِّه؛ كمَّل ما فيه وفاءَ وعدِ اللّه إيّاها بهذا الاستطراد[1]، فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَلَغَ﴾: (بلغ) أَصلٌ واحدٌ وهوَ الوُصولُ إلَى الشَّيْءِ، وبَلَغَ الشَّيءُ يَبلُغُ بُلوغًا وبَلاغًا؛ إذا وصَلَ، وانْتَهى، وهو الوصول إلى الشَّيء، تقول: بَلَغْتُ المكان؛ إذا وصلت إليه، والبُلغَةُ ما يُتَبَلَّغُ به من عيش، وكذلك البَلاغَةُ الَّتي يُمدح بها الفصيح اللِّسان؛ لأنَّه يَبْلُغُ بها ما يريده، ولي في هذا بَلاغٌ، أَيْ: كِفايَةٌ[2]، فتجتمع هذه الأمثلةُ في وصول الشَّيء إلى غاية له: مكان أو شيء أو مدى مقصود[3]، والمرادُ في الآيَةِ: وصولُ موسى عليه السلام إلى سنِّ الأشُدِّ، وما يتبعها من قوَّة الجسم والعقل.

2) ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: (شدّ) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ في الشَّيْءِ، وفُروعُهُ تَرْجِعُ إلَيْهِ[4]، والشِّدَّة: الصَّلابة، وهي ضِدُّ اللين[5]، والشَّدُّ: التَّقوية[6]، يقال: شَدَّ الشَّيءَ يَشُدُّه شدًّا: أوثقه وقوّاه[7]، (وبلغ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 87.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلغ).
(3) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بلغ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شد).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصّحاح، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (شدد).

أَشُدَّه): هو جمع شِدَّة، وهي القوَّة والجَلَدُ في البَدَنِ والعَقلِ، وبلوغه الحِنْكَةَ والمعرِفَة[1].

3) ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾: (سوي) أصل واحد يَدُلُّ على استقامة واعتدالٍ بين شيئين، يقال: هذا لا يساوي كذا، أي: لا يعادله، وفلان وفلان على سويَّة من هذا الأمر، أي: سواء[2]، وقولهم: استوى الشَّيءُ؛ إذا اعتدل، واستوى الرَّجل؛ إذا انتهى شبابه[3]، والاستواء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾، هو كمال البنية، كقوله تعالى في وصف الزرع: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29][4]، والمقصود بالآية: الاعتدالُ والاستقامة وتمام الخَلق والقوة.

4) ﴿حُكۡمٗا﴾: (حكم) أصل واحد: هو المَنْعُ، وأَوَّلُ ذَلِكَ الحُكْمُ، وهوَ المَنْعُ مِنَ الظُّلْم، وسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدّابَّةِ بذلك؛ لأنَّها تمنعها من الاضطراب، والحِكْمَةُ هذا قياسها؛ لأنَّها تمنع من الجهل[5]، والحُكْم أعمُّ من الحِكْمَة، فكلُّ حِكْمَةٍ حُكْمٌ، وليس كلُّ حُكْم حِكْمَةً، فإنَّ الحَكيم لَهُ أَنْ يَقْضيَ على شَيءٍ بِشَيْءٍ، فيقولُ: هوَ كَذا، ولَيْس بِكَذا[6]، ولهذا العموم قيل في معنى الحُكم في الآية: الحِكْمة، والنُّبوَّة، والعِلم والمعرفة بأمر الدّين، وما يقع به الحُكم بين الخُصوم[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لَمّا بَلَغَ موسى ﷺ أَشُدَّهُ ومبلغَهُ الذي لا يزيد عليه نشؤُهُ، وعظمت قوَّته، وتكامل عقله؛ آتيناه حُكمًا وعلمًا يَعرِف بهما الأحكام

هـــل جـــزاء الإحـســان إلّا الإحسان

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سوي).
(3) الجوهري، الصّحاح، والزبيدي، تاج العروس: (سوي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 87.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(6) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (حكم).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 288.

الشرعيَّة، وكما جزينا موسى ﷺ على طاعته وإحسانه؛ نجزي مَن أحسن مِن عبادنا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الوصلِ بالواو في الآية:

عـطـفُ أجـزاء قـصـة مـوسى ﷺ بعضها على بعض

عُطف قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ على ما قبلَهُ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران؛ لأنَّه من عطف جزء القصَّة على جزء القصَّة، والجهةُ الجامعة بينهما: الكلام على محور القصَّة، وهي قصَّة موسى ﷺ، فبعد أن ذكر قصَّة عناية الله به في صغره؛ أردفها قصَّة عنايته به في كبره.

بلاغةُ تعليقِ التَّركيب بـ(لَمَّا) الحينية:

إيـتـاءُ مـوسى العلمَ والحُكم في سنِّ الاستواء والأشُدِّ

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ بـ(لَمَّا) الحينية، وهي ظَرفٌ بمعنى حينَ، وتُفيدُ الشَّرطَ[2]، وتأتي في سياقِ الزَّمان الماضي، وهي مع إفادَتِها الحينَ تُلمِحُ إلى التَّعليلِ في بناءِ الجَزاءِ على الشَّرطِ، فالتَّعبير بها هنا أفاد الإيذان بتقضّي الوقت، وطَيِّ الكلام على ما قبلَ بلوغ أشُدِّه إلى ما هو أهمُّ، وكذلك أشعرَ بترتُّب ما يُذكر بعدُ على هذا الأمر، ولبيان تعلُّق وقت حصول إيتاءِ الله لموسى حُكمًا وعلمًا، على وقت حصول بلوغ أشُدِّه واستوائه، وللتنبيه على أنَّ جملة: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ مترتِّبةٌ على جملة الشَّرط، وأنَّها جواب لها.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿أَشُدَّهُۥ﴾:

إرسـالُ المرسلين باستكمال سنِّ الأشُدِّ الأربعين

جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ استعمالُ لفظ (الأَشُدِّ)، وهو جمع شِدَّةٍ كنِعْمَةٍ وأَنْعُمٍ، وهي - أي: شِدَّة - اسم هيئة بمعنى:

(1) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 387.
(2) ابن هشام، مغني اللّبيب: 20/ 87.

القوَّة، ثم عومِل - أي: الجمع - معاملةَ المفرد[1]، وقيل: الأشُدُّ جمع شَدٍّ، وقيل: هو اسم مفرد، وليس بجمع، ومعناه: بلوغُ القوَّة والجَلَد في البدن والعقل بما لا مزيد عليه، وذلك من ثلاثين إلى أربعين، فإنَّ العقلَ يكملُ حينئذٍ[2].

فائدةُ العطف بالواو في قوله: ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ عطْفُ الاستواءِ على بلوغ الأشدِّ، والعطفُ يقتضي المغايرة في الأصل، فيكون الاستواءُ غيرَ بلوغ الأشُدِّ، وقد اختلف العلماء في تلمُّس الفرق بينهما: فقيل - وهو الأقرب -: إنَّ الأشُدَّ عبارةٌ عن كمال القوَّة الجسمانية البدنيَّة، والاستواءَ عبارةٌ عن كمال القوة العقلية، وقيل: إنَّ الأشُدَّ عبارةٌ عن كمال القوَّة، والاستواءَ عبارةٌ عن كمال البِنية والخِلقة، وقيل: إنَّ الأشدَّ عبارةٌ عن البلوغ، والاستواءَ عبارةٌ عن كمال الخِلقة[3].

الأشُدُّ كمال القوَّة الجسمانية البدنيَّة، والاستواء كمالُ القوة العقليَّة

سرُّ التَّعبيرِ بالفعل ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ التعبيرُ بالفعل ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾؛ للدَّلالة على مطلق الإنعام على الأنبياء الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام، فالإيتاءُ دالٌّ على المجيء بيُسر وسهولة[4]، فإيتاءُ اللهِ سبحانه لنبيِّه موسى ﷺ وغيره من الأنبياء ما آتاهم من النبوَّة والرسالة إنَّما هو على سبيل الامتنان والفضل من غير اكتساب منهم أصلًا[5].

مطلقُ الإنعامِ على الأنبياء الكرام

نكتةُ إسنادِ الفعل إلى ضمير العظمة:

أُسندَ فعلُ ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ إلى

عطاءُ العظيم عظيمٌ يناسب قدره

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 87.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 6.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 583.
(4) الراغب، المفردات: (أتى).
(5) الشّربينيّ، السّراج المنير: 03/ 87.

ضمير (نا)؛ للدَّلالة على عظمة المؤتي ﷻ، فعطاءُ العظيم عظيمٌ يليق بقدره، وفيه أيضًا تعظيمٌ لقدر النُّبوَّة والعلم الذي يهبهُ الله ﷻ لمن اصطفى من عباده.

بلاغةُ جزاء الشَّرط في الآية:

جاءت الجملةُ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ جوابًا للشرط المذكور في أوَّل الآية في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ إيتاء العلم، والعمل بمقتضى ذلك العلم، إنَّما يكون بعد البلوغ واستكمال القوى البدنيَّة والعقلية، وما قبله في زمان عدم التَّكليف، فإنَّه فيه معدومٌ إلّا في النّادر[1].

إيتاءُ العلم والنبوَّة بعد استكمال القوَّة

سرُّ التَّعبيرِ بالحكم في ﴿حُكۡمٗا﴾:

ورد في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ لفظ ﴿حُكۡمٗا﴾، وقد اختلف المفسِّرون في تحديد معنى الحُكم على أقوال: فقيل: حُكْمًا، أي: حِكمة، والمرادُ بها ما يجب فعلُهُ، أو نبوَّة فإنَّ النَّبيَّ حاكم على أمَّته[2]، وقد حاول بعضُ العلماء التَّرجيح بدلالة اللُّغة، فقال: إنَّ أصل الحُكْم في اللغة: المنعُ، وأصله من الحَكَمَةِ التي توضَع في حنك الفَرَس، ومن ذلك الحِكْمةُ، وهي وضْعُ الشَّيء في موضعه، ومنه الحُكْم، وهو: وضع الحقِّ في مَوْضعه بين المتخاصمين[3]، والحُكْمُ أعمُّ من الحِكْمَة، فكلُّ حِكْمَةٍ حُكْمٌ، وليس كلُّ حُكْمٍ حِكْمَةً، فإنَّ الحَكيم لَهُ أَنْ يَقْضيَ على شَيءٍ بِشَيْءٍ، فيقولُ: هوَ كَذا، ولَيْس بِكَذا[4]، ولهذا العموم قيل في معنى الحُكم: الحِكْمة، والنُّبوَّة، والعِلم والمعرفة بأمر الدّين وما يقع به الحُكم بين الخُصوم[5].

منعُ الحكمةِ صاحبَها من الزلل في القول والعمل

(1) ابن العربيّ، أحكام القرآن: 03/ 46.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 288، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 69.
(3) الشنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 743، والشّعراويّ، التّفسير: 13/ 9594.
(4) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (حكم).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 288.

بلاغةُ تقديم الحكم على العلمِ:

العلمُ النّافعُ هو العلم المُؤيَّدُ بالعمل

عطفَ النَّظمُ الكريم العلمَ على الحُكم، في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾، والعطف يقتضي المغايرةَ بينهما، فيستفاد من ذلك أن ليس كلُّ حكيمٍ عالمًا وليس كلُّ عالمٍ حكيمًا، وقد جمعَ الله لأنبيائه بينهما، فالحكمة هي النبوَّة، والعلم هو العلمُ "بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه، فلا يقول، ولا يفعل ما يستجهل فيه، وهو أوفقُ لنظم القصَّة؛ لأنَّه تعالى استنبأَهُ بعد الهجرة في المراجعة"[1].

وذكرَ بعضُ العلماءِ في علَّةِ هذا العطف: أنَّ العلم أن تُحقِّق، وتَعرِف، وأمّا الحكمُ؛ فسلوكٌ وتطبيق لما تَعلم، فالعِلمُ تحقيقٌ والحُكم تطبيقٌ[2]، ولكنْ يُشكل على هذا الكلام ذِكْرُ الحكم أوَّلًا والعلم ثانيًا، ولهذا فالقول: إنَّ الحكم هو النُّبوَّة، والعلم هو علم الشَّريعة الَّذي يختصُّ الله بعلمه الأنبياء ﷺ أوفقُ للتَّرتيب[3]، فيَصطفي الله من شاء بالنُّبوَّة، ثم يفتح عليه من علم الشريعة ما يحتاجه النّاس في عبادتهم.

دلالةُ التَّنكير في قوله: ﴿حُكۡمٗا﴾ و﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾:

إيتاءُ اللهِ نبيَّهُ مـــوسى ﷺ حُـكـمًـا وعـلـمًـا عظيمًا

وَرَدَ لَفْظا ﴿حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ في قَولِه تَعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ نكرتين، والنُّكتة البلاغيَّة في ذلك أنَّ التَّنكير يدلُّ على الإبهام، والإبهامُ له علاقةٌ مباشرة بالتَّعظيم والتَّفخيم، فإنَّ مَن أراد أن يعظِّم شيئًا أبهمه بحيث لا يُكتَنَهُ وصفُه، وتذهب النَّفسُ فيه كلَّ مذهبٍ، فقد آتى الله ﷻ نبيَّهُ موسى ﷺ حُكمًا وعلمًا عظيمين لا يكتنه كنههما، ولا يُقادر قدرهما، فهما من جملة ما اختصَّ الله تعالى به نبيَّه موسى ﷺ عند تكامل قواه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 6.
(2) الشعراويّ، التفسير: 13/ 9594.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 112.

ويجوز أن يكون تنكيرُ ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ للنَّوع، أي: نوعًا خاصًّا من الحكم والعلم، فالحُكم هو النبوَّة، والعلم هو علم الشَّريعة الَّذي يختصُّ اللّه بعلمه الأنبياء عليهم السلام[1].

فائدةُ العطفِ بالواو في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

سنَّةُ الله الكريم في جـزاء عباده المحسنين

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على ما قبلَهُ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران؛ لأنَّه خرجَ مخرج التَّذييل لما سبق، وفائدة التَّذييلِ غالبًا توكيدُ المذَيَّل، وإبراز حكمه في صورة كلّيَّة[2]، والتَّقدير: (أنَّ جزاء المحسنين مِن شأننا أن نفعل أمثالَهُ، فليس ذلك ببدعٍ منّا، وأنَّه سنَّةٌ مِن سُنَنِ اللّه الواحد الأحد في خَلْقِهِ)، ولهذا لم يأتِ هذا التَّركيبُ إلّا مقرونًا بفعل مسندٍ إلى نون العظمة.

دلالةُ حرفِ التَّشبيه في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

مشابهةُ جـزاءِ المـحـسـنـين لـجـزاء الأنبياء والمرسلين

استُعمِل في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حرفُ الكاف من (كذلك)، بمعنى (مِثل)، وهو دالٌّ على المشابهة، أي: ونجزي المُحسنين جزاءً مثلَ ما جزينا موسى عليه السلام، فآتيناهُ بطاعته إيّانا الحُكمَ والعلم، كذلك نجزي من أحسن عمله، فأطاعنا في أمرنا، وانتهى عمّا نهينا عنه من معاصٍ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ موسى عليه السلام كان محسنًا في عمله، متَّقيًا للّه في أموره، فآتاه اللّهُ الحُكمَ والعلم جزاءً على إحسانه[3].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

الجزاءُ العظيمُ الـذي أعـدَّه الـلـه الـكـريـم للمحسنين

يشير اسمُ الإشارة للبعيد (ذلك) في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى المصدر المحذوفِ المفهوم من الكلام السّابق، وهو عبارةٌ عمّا أوتي موسى عليه السلام من الحُكم والعلم، وقد أوثر اسمُ الإشارة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 112.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 13/ 69، والزمخشريّ، الكشّاف: 2/ 454، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/ 171.

الدّال على البُعد، إيذانًا بعلوِّ صفته وعظمته[1]، كما دلَّ السّياق على تعظيم هذا الجزاء باعتبارين، **الأوَّل:** أنَّه جعل جزاء موسى مثالًا ومرجعًا، يُضرب به المثل في حُسن الجزاء وعظمته، **والثّاني:** أنَّه لمّا كان جزاءُ موسى بهذه الدَّرجة، فإنَّ الجزاء الَّذي يشابهه يدلُّ على عِظم مَن سيق الجزاء له.

ولمّا كان لفظُ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مفيدًا التَّشبيه على أمرٍ قد سبق، أو أمرٍ حاضرٍ في ذهنِ المخاطَبِ؛ كان اسم الإشارة (ذلك)؛ للتَّعبير عن المشبَّه به، الذي يكون مركَّب الصّورة والمعنى، فأوجز معناه التَّركيبي في لفظٍ واحدٍ، وجعله مشبَّهًا به، ثم ذكر المشبَّه، فيكون هذا التَّركيب من قبيل التَّشبيه المركَّب.

علَّةُ تقديمِ المفعولِ المطلق المحذوف:

قـصـرُ الـجـزاء الـعـظـيـم على المحسنين

اسم الإشارة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوف مفعول مطلق، عاملُهُ (مكَّنّا)؛ إذ أصلُ الكلام: نجزي المحسنين جزاءً مثلَ ذلك الجزاء، ولكنَّه قدَّم على الفعل لإفادة القصر، والمعنى: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين، لا جزاء آخر أدنى منه[2].

دلالةُ إسنادِ الفعل ﴿نَجۡزِي﴾ إلى نون العظمة:

جـزاءُ العظيم عظيمٌ

أُسند فعلُ الجزاء في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلى نون العظمة؛ للإشعار بعظمة الوهّاب سبحانه وعلوِّ قدره، وفيه أيضًا تفخيمٌ لشأن الجزاء، فجزاءُ العظيم عظيمٌ مناسب لعظمته وجلاله وإحسانه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارع في ﴿نَجۡزِي﴾:

دوامُ الجزاء بدوام الإحسان

أوثرَ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مجيءُ فعل

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 03/ 158.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 03/ 158.

الجزاء بصيغة المضارع؛ دلالةً على تجدُّد الجزاء منه سبحانه؛ للمحسنين في كلِّ زمانٍ ومكان، بحسب تجدُّد وقوع الإحسان من المحسنين، فهي سُنَّةٌ مُستمرَّةٌ من سُنَنِ الله الكريم في خلقه، ولمّا كان قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ على معنى الجزاء على الشَّرط المُضمَّن في (لَمّا)؛ ناسب أن يعبَّر عنه في السّياق بلفظ الجزاء.

بلاغةُ حذفِ متعلِّق زمن الجزاء:

شـمـولُ جـزاء المحسنين ثوابَ الدُّنيا والآخرة

جاء الجزاءُ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مطلقًا غير مقيَّدٍ بزمن، فلم يقل مثلًا: وكذلك نجزي المحسنين في الآخرة، فأفاد ذلك عمومَ الجزاء في الدُّنيا والآخرة، فيدخل الجزاء في الآخرة دخولًا أوَّليًّا؛ لأنَّه أجزلُ وأوفى وأبقى وأكمل، ويشمل كذلك الجزاء في الدُّنيا بنيل المرغوب وقرَّة العين.

دلالةُ التَّعريف بـ(أل) في ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

عـمـومُ الـجـزاءِ الـكـريـم لـكـلِّ الأفراد المحسنين

دلَّ تعريفُ لفظ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وجمعه في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على الاستغراق؛ لإفادة عموم الحكم لجميع أفراد الجنس، فكلُّ محسنٍ يعطيه الله الجزاء الحسن، كما تحتمل (أل) هنا الموصوليَّةَ؛ ليكون الجزاءُ خاصًّا بالَّذين اتَّصفوا بالإحسان في أعمالهم وقلوبهم، حتى صاروا خالصين لله تعالى[1].

نكتةُ حذفِ متعلِّق الاسمِ المشتقِّ:

الـتَّرغـيـبُ في مطلق الإحسان دون تـحـديـد للأعيان

حُذِفَ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ متعلِّقُ الاسم المشتقِّ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ قصدًا للعموم وإناطة الحكم بالاسم المشتقِّ في حدِّ ذاته، بمعنى: أنَّنا نجزيه بسبب إحسانِه مطلقًا، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ إحسانَهُ هو سببُ جزائِه تلك النِّعمة، سواءٌ كان المرادُ المحسنَ في الأعمال، أي: عمل أعمالًا حسنة صالحة، أم كان المرادُ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 3814.

المحسنَ إلى الناس، أي: الذي أحسن إليهم، أو المُحسن إلى نفسه، والظاهر استغراق هذه المعاني الثلاثة جميعًا، ولا مانع منه في اللَّفظ والسّياق، ويُحتمل أن يكون المرادُ المحسنَ في عمله، فيتبعه الإحسان إلى النّاس وإلى نفسِه على طريق اللزوم، كما أنَّ في الحذف مراعاةً للفاصلة ورؤوس الآي.

بلاغةُ الاختصار في جملة التَّذييل:

تعميمُ المقالِ وإرساله على سبيل الأمثال

خُتِمَتِ الآيةُ بقَوْله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ تذييلًا لما سبق من جزاء موسى ﷺ، وفائدةُ التذييل غالبًا توكيدُ المذَيَّل، وإبراز حُكمه في صورة كلّيَّة[1]، والمعنى في هذا التَّركيب: أنَّ مِن سُنَّة الله المستمرَّة أنَّه يجزي المحسنين، فالأمر ليس مختصًّا بموسى ﷺ، بل هو عامٌّ في كلِّ مَن يتَّصف بوصف الإحسان، وقد خرجت الجملةُ مخرجَ المثل، وأفادت التَّأكيد لاشتمالها على معنى ما قبلها[2].

توجيهُ المتشابهِ اللفظي:

تميُّزُ موسى بالاستواء وكمال الأعضاء

يُلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف: 22]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ تشابُهٌ لفظيٌّ بين الآيتين، بزيادة لفظ ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ في موضع القصص، فخُصَّ موسى ﷺ بوصف الاستواء، ولم يوصف يوسف ﷺ بذلك؛ لأنَّ الله تعالى أخبر عن يوسف ﷺ أنَّه أوحى إليه صغيرًا قبل الأربعين؛ لمّا طرحه إخوتُهُ في الجبِّ، حيثُ قال: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: 15]، وأراه ﷻ الرؤيا الَّتي قصَّها على أبيه، وأمّا موسى ﷺ؛ فلم يُفعل به شيءٌ من ذلك إلى أن بلغ الأشُدَّ، واستوى، فالاستواءُ انتهاءُ شبابِه، وتكامل عقلِه، وهو من الثلاثين إلى الأربعين[3].

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.
(2) السبكي، عروس الأفراح: 1/ 611.
(3) الإسكافي، درّة التنزيل: 2/ 798، والهرري، حدائق الروح والريحان: 21/ 115.

ومِن أظهرِ الأقوال أيضًا أنَّ موسى وُصف بالاستواء، ولم يوصَفْ يوسف إلّا ببلوغ الأشُدِّ خاصَّة؛ لأنَّ موسى كان رجلًا طوالًا، كما في الحديث: «كأنَّه من رجال شنوءة»[1]، فكان كاملَ الأعضاء، ولذلك كان وكْزُهُ القبطيَّ قاضيًا على الموكوز[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحكيم والعالم:

كلُّ حكيمٍ عالِمٌ بلا عكس

يتَّضحُ الفرقُ بين الحكيم والعالم: في كونِ العالم هو الذي يعلم الأشياءَ، والحكيُم: هو الَّذي يَعْمَلُ بما يوجبه العلمُ، وقيل: هو الَّذي يمنعُ نفسه عمّا يجهِّلُهُ، ويُسَفِّهُهُ، ومنه حَكَمَةُ الدّابَّة؛ لأنَّها تمنع الدّابَّة عن الفساد[3].

كما أنَّ وصفَ الحكيم أعمُّ دلالةً مِن وصف عالم، فهو يَرِدُ على ثلاثة أوجه: **الأول:** بمعنى: المُحْكِم، مثل: البديع بمعنى: المُبْدِع. **والثّاني:** بمعنى: مُحْكَم، وفي القرآن: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: 4]، أي: مُحْكَم، وإذا وُصِفَ اللّه تعالى بالحِكمة من هذا الوجه؛ كان ذلك من صفات فِعْله، **والثّالث:** الحكيمُ بمعنى العالم بأحكام الأمور، فالصِّفة به أخصُّ من الصِّفة بعالم، وإذا وُصِفَ اللّه به على هذا الوجه؛ فهو من صفات ذاتِهِ[4]، فيظهر بذلك أنَّ كلَّ حكيمٍ عالمٌ بلا عكس.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: (رقم: 167).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 87.
(3) السّمعاني، التّفسير: 3/ 20.
(4) أبو هلال العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 96.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»